إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد.

أما بعد،

فنستأنف رحلتنا مع رجل كل العصور وترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وقد تكلمنا فيما مضى عن نشأته وعن طفولته ونزيد فيما يتعلق بطفولة شيخ الإسلام أنه كان من صغره حريصًا على الطلب مجدًا على التحصيل والدأب ولا يؤثر على الاشتغال بطلب العلم لذة ولا يرى أن تضيع منه في البطالة فذة، يذهل عن نفسه ويغيب في لذة العلم على حسه، لا يطلب أكلًا إلا إذ حضر لديه، ولا يرتاح إلى طعام ولا شراب في أبرديه.

قيل إن أباه وأخاه وأهله وآخرين ممن يلوذون بظله سألوه بأن يروح معهم يوم سبت ليتفرج، يعني ليتنزه، فهرب منهم وما ألوى عليهم، ولا عرج، فلما عادوا في آخر النهار لاموه على تخلفه يعني أنه لم يحظى بما حظوا به أثناء تلك الرحلة أو النزهة فلما عادوا آخر النهار لاموه على تخلفه، وتركه لاتباعهم وما في انفراده من تكلف، فقال: أنتم ما تزيد لكم شيء وما تجدد، وأنا حفظت في غيبتكم هذا المجلد.

أنتم ما تزيد لكم شيء ولا تجدد، وأنا وهذا كان طفلًا صغيرًا، وأن حفظت في غيبتكم هذا المجلد، وكان ذلك الكتاب "جَنة الناظر وجُنة المناظر"، وأحيانًا يسمى روضة الناظر وجُنة المناظر، وهو مجلد صغير وأمره شهير في أصول الفقه الحنبلي.

لا جرم أنه كان في أرض العلوم حارثًا وهو همام وعلومه كما يقول الناس تدخل معه الحمام، هذا تعبير يشيع حينما يوصف إنسان بشدة الحفظ يعني عظمة حفظه أن كل العلوم التي عنده تدخل معه الخلاء، ومعلوم أن إنسان في الخلاء لا يصطحب معه لا مصحفًا ولا كتب أحاديث ولا شيء فيه ذكر الله عز وجل، أو شيء من العلوم الشرعية الشريفة، فما معنى أن علومه تدخل معه الحمام؟ معناه أنه يستودعها قلبه، فتدخل معه في أي مكان لأنه يحفظها عن ظهر قلب.

فلا جرم أنه كان في أرض العلوم حارثًا وهو همام، وكما وهذا طبعًا المعنى مقتبس من الحديث الشريف أصدق الأسماء حارث وهمام، يعني أصدق الأسماء انطباقًا على صفات البشر اسم حارث واسم همام، لأن حارثًا يدل على القوة العملية، وهمام يدل على قوة الإرادة الهمة قوة الإرادة، فهناك إنسان لا بد له لكي ينجز أن يكون له هاتان القوتان القوة العلمية والقوة الإرادية، قوة يعني عملية وقوة إرادية، فكان فحارث تدل على الحرث دي القوة العملية، وهمام تدل على الإرادة فهذه قوة علمية.

فلا جرم أنه كان في أرض العلوم حارثًا وهو همام، وعلومه كما يقول الناس تدخل معه الحمام، وحكى عنه تلميذ الإمام شمس الدين ابن القيم الجوزي رحمه الله تعالى قال: كان صغيرًا عند بني المنجى، كان طفلًا صغيرًا عند بني المنجى، فبحث معهم فنظر معه في نقل معين أو في شيء معين هو ذكر أنه موجود أو فلان ذكر كذا وكذا، فبحث معهم فادعوا شيئًا أنكره، فادعوا شيئًا أنكره، قالوا: موجود مثلا في الحديث لفظة كذا أو في الكتاب الفلاني بعبارة كذا، فهو أنكر قال ما هذا موجود.

فأحضروا النقل فأحضروا النقل، فلما وقف عليه ألقى المجلد من يده غيظًا، فقالوا له: ما أنت إلا جريء ترمي المجلد من يدك وهو كتاب علم، فقال سريعًا، وتأملوا هذا وهو صغير جدًا طفل صغير، فقال سريعًا أيهما خير أنا أم موسى؟ فقالوا: موسى، فقال أيما خير هذا الكتاب أو ألواح الجوهر التي كان فيها العشر كلمات؟ قالوا: الألواح، فقال: إن موسى لما غضب ألقى، لأنه ما بذغ نجمه بعد، بالتالي نستطيع أن نستدل على قوة التحصيل في فترة الطلب من الحصاد الذي نتج عن هذا الطلب، وهو هذه العقلية الموسوعية الفذة.

ربما بعض الناس الذين لا يعرفون قدر شيخ الإسلام ابن تيمية في الصورة الوافية، يقولوا أنتم تبالغون في ذكر محاسن شيخ الإسلام والتمحور حول بيان مواهبه وإنجازاته ونحو ذلك، ونفس المعنى قيل لعالم جليل وعالم فذ وهو الإمام الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى، فقال: من قرأ كلامي هذا عن شيخ الإسلام يظن أنني أبالغ في وصفه، لكن من عرف شيخ الإسلام يتهمني في التقصير في حقه، إنني قصرت عما يستحقه من ذكر محاسنه رحمه الله تعالى.

فيما يأتي من الكلام ربما تتداخل بعض البحوث أحيانًا ويحصل تكرار في بعض الكلمات فنعتذر عن هذا التكرار بالذات في المرحلة الحالية لأن المراجع التي أرجع إليها كثيرة جدًا، فيحصل التكرار أحيانًا رغم عني، وفي نفس الوقت نتسلى بما قاله العلماء لما عقدوا مقارنة بين البخاري ومسلم، فكان مما قال بعضهم أخذوا عن البخاري قالوا ايه؟ قالوا البخاري فيه المكرر قلت: المكرر أحلى، يعني كالسكر كل ما بيحصل تكرير للسكر يزداد حلاوته، ففي مثل ذكر هؤلاء الصالحين والربانيين يعني لا شك أن الإنسان يعني يتمتع بسماع سيرتهم العطرة حتى لو تكرر منها شيء.

حرص شيخ الإسلام كما ذكرنا على تحصيل العلوم مبكرًا، فجمع وعقل وفهم وبرد وفاق أهل زمانه، ولكونه حصل العلم وجالس أهله وهو في سن مبكرة، كثر عدد شيوخه الذين أخذ عنهم، حتى قيل إن شيوخه الذين سمع منهم أزيد من مائتي شيخ، أكثر من مائتي شيخ تعلم عنهم، وهذا يدل أيضًا على اجتهاده في التحصيل منذ وقت مبكر، حتى يستطيع أن يطلب العلم على كل هذا أو على هذا العدد الكبير من الشيوخ.

خرج لنفسه مشيخة رواها عنه الذهبي روى فيها 40 حديثًا عن أكثر من 40 شيخًا وشيخة، وقد طبعت في مجموع الفتاوى في الجزء الثامن عشر، من صفحة 76 إلى 121 كما طبعت مفردة في دار القلم، وعدد الشيوخ الواردين في المشيخة 41 وأربع شيخات.

قال الذهبي في تذكرة الحفاظ وقدم مع أهله، سنة 7 فسمع من ابن عبد الدايم وابن أبي اليسر، الكمال ابن عبد وابن الصيرفي وابن أبي الخير وخلق كثير.

وزاد الصفدي والشيخ شمس الدين، والقاسم الإربلي وابن علام، وقال ابن شاكر الكثبي في أو كتبه في وفوات الوفيات وسمع شيخنا الكثير من ابن أبي اليسر والكمال بن عبد والشيخ شمس الدين الحنبلي والقاضي شمس الدين بن عطاء الحنفي، والشيخ جمال الدين بن الصيرفي ونجم الدين بن عساكر والنجيب بن المقداد وابن أبي الخير وابن علام، وأبي بكر الهروي، والكمال عبد الرحيم، وفخر الدين بن البخاي، وابن شيبان، وشرف بن القوات، وزينب بنت مكي وخلق كثير.

وشيوخه الذين سمع منهم أزيد من مائتي شيخ، ومن شيوخه كما ذكرنا من قبل والده الشيخ عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية خطيب حران وإمامها، والإمام المقرئ كمال الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن فارس التميمي، ومنهم أيضًا الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد القوي بن بدران المرزاوي المقدسي الصالحي.

من شيوخه أيضًا ست الدار بنت عبد السلام بن تيمية عمة شيخ الإسلام، روى شيخ الإسلام عنها، طيب بالنسبة لشيخ الإسلام هل كان شيخ الإسلام مع هذا العدد الهائل من الشيوخ الذين تلقى عنهم هل كان مقلدًا لشيوخه؟ يذكر الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود في كتابه الرائع موقف ابن تيمية من الأشاعرة، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، يقول:

كل عالم يبدأ حياته العلمية غالبًا ما يبدأها بتقليد شيوخه الذين أخذ عنهم ووثق في علومهم، والمتتبع لحياة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يلمس منها أن ما أعطاه الله من ذكاء، وقوة حافظة، وسرعة إدراك وجو علمي مليء بالعلماء وبالكتب التي ألفها من كان قبلهم ساعدهم على أن يكون ذا قدرة علمية مستقلة بعيدة عن التقليد الأعمى، ولذلك استمر طوال حياته على منهج واحد لم يتغير، لم يتغير أبدًا عن خطه، بخلاف بعض العلماء خاصة من غاصوا في علم الكلام والفلسفة، تجد الواحد منهم يمر في حياته بأكثر من مرحلة، كل مرحلة لها منهج وطريقة تخالف المرحلة الأخرى.

من أشهر من وقع منه ذلك؟ الأشعري في أشهر وأعمق أثرًا، أبو حامد الغزالي، كان في محاضرات قديمة في غاية الأهمية كان اسمها رحلة الإمام العائد أبي حامد الغزالي، تكلمنا فيها بالتفصيل على كل المراحل التي مر بها شيخ الإمام أبو حامد الغزالي، وهناك دراسة نتعرض لها إن شاء الله بالتفصيل في غاية الأهمية وهي كتيب أو دراسة للدكتور رشاد سالم رحمه الله تعالى بعنوان: "مقارنة بين الغزالي وابن تيمية" وهي محاكمة، محاكمة التقليدية لأن كل من الرجلين يمثل المدرستين المتصارعتين بين أهل السنة والأشاعرة أو أهل الحديث والصوفية ونحو ذلك فكل رجل وهو رمز المدرسة التي ينتمي إليها.

فالدكتور رشاد سالم له رسالة قيمة جدًا في هذا الأمر مقارنة بين الغزالي وابن تيمية، حتى يكون الإنسان على بصيرة مش مجرد يقلد من يتلقى عنهم العلم ويمدحون ابن تيمية يبقى نمشي وراء من يتكلم، بتقليد أعمى دون بصيرة، لكن لا بد أن نعرف لماذا لا نأخذ منهج الغزالي، لماذا لا نعد الغزالي ممثلا لأهل السنة والجماعة، لماذا نوافق كلام شيخ الإسلام، لا بد الإنسان يكون على بصيرة من أمره كما قال تعالى: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي }واضح.

فنجد علماء كثيرين مروا بهذه المراحل، شيخ الإسلام لم يتلون، لم يتلون أبدًا، المنهج منذ البداية كان واضحًا جدًا، وهذه من نعم الله على العبد، يعني وهذه الصحوة الآن مثلا نرى الشباب في عامة بلاد العالم الإسلامي وبالذات في مصر نلاحظ الإنجذاب الشديد للمنهج السلفي واضح، طبعًا وراء هذه من نعم الله -سبحانه وتعالى- لأن في وقت من الأوقات كان يصعب الوصول إلى هذا المذهب، يعني ما كان مختفي ولكن طغت مناهج أخرى منحرفة عن منهج أهل السنة والجماعة، طغت، فبالتالي الناس يتأثرون بها، واضح وقليل من يلتفت إلى الوصول إلى الحق في هذه المناهج والطرائق، فمن نعمة الله أن الآن الأمر بالنسبة للإخوة جاهز ومخدوم والعلماء متوافرون وقريبون جدًا منهم الكتب موجودة والشرائط موجودة، كل شيء أصبح موجودًا.

فأسباب الانتفاع بهذا المنهج موجودة، لكن لا يستلزم بذلك حصول الانتفاع، أسبابه موجودة، فمن اجتهد يصل بسرعة وبتوفيق الله -سبحانه وتعالى- إلى هذا المنهج، فمن خصائص الذي يريد الله به خيرًا كما قال بعض السلف أعتقد هو عبد الرحمن بن شوذب قال: إذا أراد الله بالحدث خيرًا وفقه لرجل من أهل السنة يأخذ العلم على يديه، أو كما قال رحمه الله يعني هذه النعمة على من نعمة الله على الشاب إذا نسك أن يواخي صاحب سنة يحملها عليه، من نعمة الله على الشاب إذا نسك أن يواخي صاحب سنة يحمله عليها، يعينه على الاهتداء إلى منهج أهل السنة هيوفر كثيرًا جدًا من عمره، أما من سبقونها من هذا الجيل كان الأمر يتناوشه وسرعات شديدة جدًا بين التكفير والهجرة وبين كذا وكذا من الاتجاهات المنحرفة، وحصل منها بلايا نرجو يأتي وقت نتكلم عنها بالتفصيل حتى ندرك نعمة الله علينا فيما وصلنا إليه الآن من سهولة الوصول للمنهج السلفي، ولا أقول من الوصول لأن كثيرًا من الناس يكتفون بالانتماء السطحي دون بصيرة، كعاطفة فقط، وبيمشي مع الموج.

فالمطلوب ليس الاتباع الأعمى ولكن المقصود الاتباع على بصيرة، وإلا ما يصح ما الانتماء إلى السلفية.

فهذه من خصائص شيخ الإسلام، أنه رحمه الله تعالى ما تلون ما تجول بين الاتجاهات لوضوح المنهج من القدم أو من البداية معه، ومع ذلك مع أن الخط العام لم يتغير لكن شيخ الإسلام كبشر وكطالب علم ومر بمراحل نمو في تكوينه العلمي، نلاحظ أنه رجع عن بعض المسائل التي كان ربما أخذها بعض المسائل، لكن مش المنهج العام، بعض المسائل أخذها في المراحل الأولى إما تقليدًا وإما عدم لم يكن قد أشبعها بحثًا فتراجع عنها فيما بعد، فإما أنه أخذها أحيانًا تقليدًا أو لم تتكامل معرفته بالشخص أو المسألة المعينة.

فممكن الإنسان يتغير رأيه في شخص من وقت إلى آخر لأنه أحسن الظن به أولًا ثم بعد ذلك لما تضطلع من العلم ودرس أكثر استطاع أن يتكلم بإنصاف في حقه، كثير من الإخوة ينزعجون جدًا وتأتي أسئلة لما يذكر مثلا كمثال الشيخ رشيد رضا رحمه الله تعالى باعتباره علم علمًا من أعلام السلفية في مصر بالذات فيستصعبون ذلك لأنهم يقفون عند مرحلة معينة، وهي مرحلة انتمائه إلى مدرسة الشيخ محمد عبده، وطبعًا هذه عليها ملاحظات شديدة.

هي الآفة التي عند هؤلاء الإخوة إنه قاصر في العلم، قاصر في العلم بالشخص الذي يتكلم عنه، إذا أردت أن تحكم على شخص ادرس حياته وإنجازاته بصورة مفصلة قبل أن تصدر حكمًا عليه حتى لا تظلمه، فأنا بعض الإخوة منذ مدة نفس الشيء حصل منه، فأخذت وأريته فقط شيء واحد من إنجازات الشيخ رضا وهو مجلة المنار، يعني المجلة في عدد ضخم من المجلدات تصل حوالي مترين، طول المجلدات مترين فقط دي مجلة المنار.

في نفس الوقت لا تفصل الشخص عن البيئة العلمية، أنت الآن لأن كل شيء سهل الآن، مادام جاهدوا وبذلوا واتضح المنهج بغاية الوضوح فيعذر العالم أحيانًا إذا تأثر بالبيئة العلمية التي نشأ فيها، والذي تنفس هواءها وأخذ عن شيوخها، لكن بعد ما يكون نضج واقترب من المنهج السلفي يتراجع عن هذه الأخطاء.

فلا يصح أن يقال أن رشيد رضا رحمه الله تعالى هو ظل فقط لمحمد عبده على الإطلاق، صحيح هذه مرحلة من المراحل، لكن المعروف عن رشيد رضا أنه كان كلما اقترب أكثر من المنهج السلفي كلما تقدم به العمر وتابع وتطلع أكثر كل ما كان يتقدم بقوة، بجانب أنه أحيا كثيرًا جدًا من التراث السلفي ونشره هنا في مصر، يعني هو في وقت من الأوقات يتابع الدولة العثمانية في هجماته على الدعوة الوهابية في الجزيرة العربية.

ثم بعد ذلك لما حصل اتصال مباشر وطال حقيقة هذه الدعوة، لأن التواصل والاتصالات أيامها كانت بطيئة جدًا فلما فتح الله عليه واطلع على ذلك كان الوحيد في مصر الصوت الوحيد الذي ينافح عن الدعوة الوهابية في ظل جو عدائي مفعم بالروح العداء والتشويه لحقيقة هذه الدعوة فكان هو الصوت الوحيد من خلال مجلة النهار تراجع عما كان يكتبه قبل متابعًا فيه الدولة العثمانية واستقل بمدح الدعوة الوهابية وتوضيح حقائقها، والدفاع عنها فكان في وقت من الأوقات له الريادة في هذا المجال.

أما تعد حسنة له؟ عند إخواننا علماء الجرح والتجريح، أما تعد حسنة له؟ وحسنة لها قيمة ولها شأن، فأنظر في الشخص أولًا، وادرس المراحل التي مر بها قبل أن تتجرأ في الحكم عليه ثم تقع في الظلم، فلا بد أن يكون الإنسان الذي يتكلم في أي إنسان في أي رجل أن ينتقد كتابًا معينًا يدرس كل الكتاب، له مؤلفات يدرس كل مؤلفاته أولًا ثم يتكلم عنه وعن بينة وعن بصيرة.

مثال هنا أن شيخ الإسلام مثلا ذكر أنه كان يحسن الظن بابن عربي الصوفي، صاحب الفتوحات، ثم بعد ذلك عرف حقيقة حاله، لأن شيخ الإسلام كان ينمو ينمو في العلم، ففي الأول أحسن الظن بابن عربي ثم بعد ذلك لما زاد علمه انكشفت حقيقة حاله.

يقول شيخ الإسلام في رسالته إلى نصر المنبذي، يقول: وأنا كنت قديمًا ممن يحسن الظن بابن عربي ويعظمه، لما رأيت في كتبه من الفوائد، مثل كلامه في كثير من الفتوحات والكنه والمحكم المربوط، والدرة الفاخرة، ومصانع النجوم ونحو ذلك، ولم نكن بعد اطلعنا على حقيقة مقصوده، ولم نطالع الفصوص ونحوه وكنا نجتمع مع إخواننا في الله نطلب الحق ونتبعه ونكشف حقيقة الطريق، فلما تبين الأمر عرفنا نحن ما يجب علينا، فلم قدم من المشرق مشايخ معتبرون وسألوا عن حقيقة الطريقة الإسلامية، والدين الإسلامي، وحقيقة هؤلاء وجب البيان.

وجب بيان حقيقة ابن عربي وتحذير الناس من ضلالاته، كان ابن تيمية فيما يبدو، لأنه كان حينما كان يافعًا كان يتوقد ذكاء ويظهر عليه أمارات الذكاء والعبقرية ومخاير النجابة، وأنه وراؤه مستقبل عظيم جدًا، كما حكم بذلك ممن رأوه في صغره، فكان محل طمع من الاتجاهات المنحرفة عن أهل السنة والجماعة، كان محل طمع كان يرجون أن ينتمي إليهم شيخ الإسلام بقدراته ومؤهلاته العظيمة، فحضر مرة مع الصوفية، وأقاموا سماعًا، سماعًا ما يسمى حفل الذكر يعني بيقولوا بقى الأناشيد بتاعتهم ويتواجدون ويتراقصون ونحو ذلك.

فحضر مرة مع الصوفية وأقاموا سماعًا، لكنه لم يشارك نفر من هذه الطريقة، ولم يشاركهم، يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وكنت في أوائر عمري حضرت مع جماعة من أهل الزهد والعبادة والإرادة، فكانوا من خيار أهل هذه الطبقة، فبتنا في مكان، وأرادوا أن يقيموا سماعًا، وأن أحضر معهم فامتنعت من ذلك، فجعلوا لي مكانًا منفردًا قعدت فيه.

انعزل عنهم ولم يحضر معهم هذا السماع، لأنهم كانوا في سفر فلما سمعوا سمعوا بقى الأناشيد بيحصل لهم الوجد والحال، صار الشيخ الكبير يهتف بحال وجده، ويقول: يا فلان قد جاءك نصيب عظيم تعال خذ نصيبك، يعني تعالى ارقص معنا أو اسمع هذه الأشياء معنا، خذ نصيبك من هذه المتعة الروحية العظيمة، فصار الشيخ الكبير يهتف بحال وجده ويقول: يا فلان قد جاءك نصيب عظيم، تعالى خذ نصيبك، فقلت في نفسي ثم أظهرته لهم لما اجتمعنا، أنتم في حل من هذا النصيب يعني خلي لكم النصيب ده، أنا مستغني عنه، أنتم في حل من هذا النصيب، فكل نصيب لا يأتي من طريق محمد بن عبد الله فإني لا آكل منه شيئًا.

وتبين لبعض من كان فيهم ممن لهم معرفة وعلم أنهم كان معهم الشياطين وكانت فيهم من هو سكران بالخمر.

هذه القصة كانت في أوائل عمره، وهنا يلحظ حرص هؤلاء الصوفية عليه لإدخاله في زمرتهم، لكن موقفه القوي ووضوح العقيدة عنده ومعرفته بأحوالهم يدل على وحي مبكر بحال هذه الطائفة المنحرفة، ولذلك استمر في موقفه منها ورد عليها وفضح دعاتها، كما حدث له في مسألة حلول الحوادث، والصفات الاختيارية لله تعالى، ومسألة الزيارة البدعية والشرعية ما يذكره.

يقول: ولكن هذه المسألة مسألة حلول الحوادث، ومسألة الزيارة وغيرهما، حدث من المتأخرين فيها شبه، وأنا وغيري كنا على مذهب الآباء في ذلك، وأنا وغيري كنا في مذهب الآباء في ذلك، نقول في الأصلين بقول أهل البدع، فلما تبين لنا ما جاء به الرسول دار الأمر بين أن نتبع ما أنزل الله، أو نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، فكان الواجب هو اتباع الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وأن لا نكون ممن قيل فيه { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا }، وقال تعالى: { قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ }.

بل يذكر أنه صنف منسكًا، ذكر فيه استحباب زيارة مساجد مكة وما حولها، ثم تبين له أن ذلك بدعة، وهذا المنسك معروف وقديم، ذكر مناسك الحج ذكر في أثناء هذا المنسك استحباب زيارة مساجد مكة وما حولها انظر إلى الرجوع إلى الحق، ثم تبين له أن ذلك بدعة.

يقول شيخ الإسلام: وقد ذكر طائفة من المصنفين في المناسك استحباب زيارة مساجد مكة وما حولها، وكنت قد كتبتها في منسك كتبته قبل أن أحج في أول عمري وهو شاب صغير، كان تأثر بهذا الكلام، وكنت قد كتبتها في منسك كتبته قبل أن أحج في أول عمري لبعض الشيوخ جمعته من كلام العلماء، ثم تبين لنا أن هذا كله من البدع المحدثة التي لا أصل لها في الشريعة، وأن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار لم يفعلوا شيئًا من ذلك، وأن أئمة العلم والهدى ينهون عن ذلك، وأن المسجد الحرام هو المسجد الذي شرع لنا قصده للصلاة والدعاء والطواف وغير ذلك من العبادات.

إذًا هذه المواقف تدل على المنهل الأصيل الذي انطلق منه شيخ الإسلام متبعًا للكتاب والسنة، ولو في ذلك مخالفة لما كان عليه الآباء والأجداد، أو ما يترتبه الشيوخ والعلماء والقضاة، فالحق أحق أن يتبع، والأمور لا توزن بكلام الناس وما اعتادوا عليه حتى لو كانوا علماء فضلاء، وإنما توزن بميزان الحق والعدل المبني على الشرع المنزل.

من خصائص شيخ الإسلام كما ذكرنا أنه كان الرجل الموسوعة، كان موسوعة من ناحية العلم الشريف، يقول العلامة كمال الدين بن الزملكاني: كان إذا سئل عن فن من الفنون، ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن.

يعني شيخ الإسلام إذا درس علم من العلوم، فكأنه أعطاه كله، كل كيانه يبذله في هذا الفن، حتى يتقنه إتقانًا لا نظري له، يفوق فيه أهل هذه المسألة التي يدرسها، سواء فرقة معينة ما هي مفاهيمها ومبادئها، ومواقفها وتاريخها وآرائها ونحو ذلك، فكان يتقن ذلك ودي نصيحة طبعًا يستفيد منها طالب العلم إنه إذا أقبل على علم يتقنه حتى كأنه يتخصص فيه، كأنه يجري فيه رسالة دكتوراه مثلا، يبذل أقصى جهده ويسهر الليالي ويبذل كل الجهد بحيث إن دي هي التي سيعرف بها وتعرف به، فيخرج كل طاقته في التحصيل، فده سبب الاتقان.

يقول: كان إذا ابن الزملكان كما ذكرنا، كان أحيانًا يتخاصم مش يتخاصم يتناظر مع شيخ الإسلام ويختلف معه، لكنه كان إمامًا منصفًا عادلًا.

يقول: كان إذا سئل عن فن من الفنون ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، يعني من شدة تضلعه منه، وحكم أن أحدًا لا يعرفه مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في سائر مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك، ولا يعرف أنه ناظر أحدًا فانقطع معه، ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع أو غيرها إلا فاق فيه أهله والمنسوبين إليه، وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبار والترتيب والتقسيم والتبيين.

ويقول الشيخ علم الدين في معظم شيوخه أن من شيوخه يعني الشيخ تقي الدين أبو العباس الإمام المجمع على فضيلته ونبله ودينه، قرأ الفقه وبرع في العربية والأصول، ومهر في علم التفسير والحديث، وكان إمامًا لا يلحق غباره في كل شيء، وبلغ رتبة الاجتهاد، واجتمعت فيه شروط المجتهدين، وكان إذا ذكر التفسير، بهت الناس من كثرة محفوظه وحسن إيراده، وإعطائه كل قول ما يستحقه من الترجيح والتضعيف والإبطال، وخوضه في كل فن، وكان الحاضرون يقضون منه العجب.

ويقول الذهبي رحمه الله تعالى: كان آية في الذكاء وفي سرعة الإدراك رأسًا في معرفة الكتاب والسنة والاختلاف، بحرًا في النقليات ... إلى أن قال: فإن ذكر التفسير فهو حامل لوائه، وإن عد الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق، وإن حضر الحفاظ نطق وخرسوا، وترب وأبلسوا، واستغنى وأفلتوا، وإن سمي المتكلمون فهو فردهم وإليه مرجعهم، وإن لاح ابن سينا يقدم الفلاسفة ثلهم ونجتهم وهتك أستارهم وكشف عوارهم، وله يد طولى في معرفة العربية والصرف واللغة، وهو أعظم من أن تصفه كلمي، يعني كلامي قصر عن وصف شيخ الإسلام، وهو أعظم من أن تصفه كلمي، أو أن ينبه على شأنه قلمي، يعني فيما يبدو كلمي، لكن ربما تكون قلمي.

فإن سيرته وعلومه ومعارفه ومحنه وتنقلاته يحتمل أن توضع في مجلدتين، وقال أيضًا الذهبي رحمه الله: وله خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم، ومعرفة بفنون الحديث وبالعالي والنازل، وبالصحيح والثقيل، مع حفظه لمتونه الذي انفرد به، فلا يبلغ أحد في العصر رتبته، ولا يقاربه، وهو عجيب في استحضاره، واستخراج الحجج منه، وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب الستة، والمسند بحيث يصدق عليه أن يقال كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث.

ولذلك الأئمة الكبار هذا قلة من العلماء الذين قيل في شأنهم هذه الكلمة، قلة قليلة جدًا، ربما يعدون على أصابع اليد الواحدة، كل حديث لا يعرفه فلان فليس بحديث، فممن قيل فيه هذا الوسام العالي الشريف شيخ الإسلام ابن تيمية، كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث.

عشان كده ولأجل ذلك هؤلاء الفطاحل كلمة لا أعرفه كلمة لها وزن، لما يجي الحافظ العراقي في تحقيق حديث ويقول لا أعرفه، فدي كلمة لها وزن ثقيل جدًا، هذا من تورعه، فهي منه إذا صدرت منه دي حاجة لها ثقل علمي كبير، لكن نرى الآن في مصنفي آخر الزمان من الذين يتذببوا ولما يتحصرموا يقفزون من العنب إلى الذبيب مباشرة، أو من يعين يقفز كلًا فجأة ويؤلف الكتب ويقول لك في الحديث لا أعرفه، طيب ما هو شيء طبيعي إن مثلك لا يعرفه، لكن لما العراق يقول لا أعرفه أو ابن تيمية يقول لا أعرفه دي لها وزن، يعني حتى عدم المعرفة دي لها دلالات إذا كن ابن تيمية مش عارفه، فمعناها إيأس ما تبحثش.

لكن الإحاطة لله عز وجل غير أنه يغترف فيه الحديث يعني من بحر غيره يغترف من السواقي، وأما التفسير فمسلم إليه، وله في استحضار الآيات من القرآن وقت إقامة الدليل به على المسألة قوة عجيبة، وإذا رآه المقرئ تحير فيه ولفرط إمامته في التفسير، وعظمة إطلاعه بين خطأ كثير من أقوال المفسرين ويوهي أقوالًا عديدة وينصر قولًا واحدًا موافقًا لم دل عليه القرآن والحديث، ويكتب في اليوم والليلة من التفسير أو من الفقه أو من الأصلين أو من الرد على الفلاسفة الأوائل نحوًا من أربعة كراريس أو أزيد، وما يبعد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ 500 مجلد، وله في غير مسألة مصنف مفرد في مجلد.

وقال ابن سيد الناس رحمه الله تعالى: ألفيته ممن أدرك من العلوم حظًا، وكان يستوعب السنن والآثار حفظًا، وإن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، ومن أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر بحديث فهو صاحب علمه، وذو روايته، أو حاضر بالنحل والملل فلم يرى أوسع من نحلته، ولا أرفع من درايته، برز في كل فن على أبناء جنسه، لم ترى عين من رأه مثله ولا رأت عينه مثل نفسه.

يقول صاحب الوافي بالوفيات: وكان إذا تكلم أغمض عينيه، كان شيخ الإسلام إذا تكلم أغمض عينيه وازدحمت العبارة على لسانه، فرأيت العجب العجيب والخبر الذي ما له مشاكل في فنونه ولا ضريب والعالم الذي أخذ من كل شيء بنصيب، فهمهم للأغراض أي الأهداف مصيب، والمناظر الذي إذا جال في حومة الجدال رمي الخصوم من مباحثه باليوم العصيب، وعاينت بدرًا لا يرى البدر مثله، وخاطبت بحرًا لا يرى العبر عائمه.

يقول ابن دقيق العيد، لما سئل عن شيخ الإسلام ابن دقيق العيد ده إمام جليل جدًا من الأئمة الكبار، سئل عن شيخ الإسلام بعد ما اجتمع به فقال رأيت رجلًا سائر العلوم بين عينيه، يأخذ ما شاء منها ويترك ما شاء.

يقول الذهبي رحمه الله تعالى: حضر أي ابن تيمية عند شيخنا أبو حيان، أو حضر عند شيخنا أبو حيان المفسر يبقى مين اللي حضر؟ أبو حيان، فقال لما رأى شيخ الإسلام وسمع كلامه، ما رأت عيني مثل هذا الرجل، ثم مدحه بأبيات، ذكر أنه نظمها بديهة في البديهة قعد يمدح شيخ الإسلام بأبيات جميلة، ثم يقول الذهبي رحمه الله تعالى: ثم دار بينهما كلام فجرى ذكر سيبويه، فأغلظ الشيخ ابن تيمية القول في سيبويه، فناظره أبو حيان بسببه، ثم عاد ذامًا له وصير ذلك ذنبًا لا يغتفر.

يعني لأن يقال إن ابن تيمية قال له: ما كان سيبويه يعني هو طبعًا أب حيان قال ازاي أنت تتجرأ وتنتقد سيبويه كيف تخطئ سيبويه، فقال شيخ الإسلام له ما كان سيبويه نبي النحو، ولا معصومًا، بل أخطأ في الكتاب في ثمانين موضعًا ما تفهمها أنت، فكان ذلك سبب مقاطعته إياه، وعاد بعد ذلك ذامًا له واعتبر هذا من شيخ الإسلام ذنبًا لا يغتفر.

شيخ الإسلام كما ذكرنا كان بارعًا في كل العلوم التي يمكن أن تصل إليها يده وليت فقط العلوم الشرعية أو علوم الآلات، لكن حتى من قرأ له الرسالة العرشية يتكلم على إن الأفلاك السماوية كلها دائرية، ويثبت أن الجنة دائرية، إنها كروية، ويتكلم عن كروية الأرض إنه شيء بديهي جدًا ويقيم الأدلة على ذلك، ده في الرسالة العرشية في القرن السابع لما كان ما كان يعرف يتكلم أحد بمثل هذه المعاني.

فمن ذلك أنه كان بارعًا في علوم المحاسبة، المحاسبة التي يدرسوها الآن في كليات التجارة كان شيخ الإسلام في غاية البراعة في هذا العلم، روى المولى علاء الدين بن الآمدي، وهو من كبار كتاب الحساب، قال: دخلت يومًا إليه، أنا والشمس النفيس عامل بيت المال، ولم يكن في وقته أكتب منه، أكتب منه يعني ايه؟ أبرع منه في علم الحساب المحاسبة علم المحاسبة، فأخذ الشيخ تقي الدين يسأله عن الارتفاع وعما بين الفزلكة واستقرار الجملة من الأبواب وعن الفزلكة الثانية، وخصمها وعن أعمال الاستحقاق وعن الختم والتوالي وما يطلب من العامل وهو يجيبه عن البعض ويسكت عن البعض ده أبرع شخص في المحاسبة، فكان يجيب عن بعض الأسئلة ويسكت عن بعضها، ويسأله عن تعليل ذلك، إلى أن أوضح له ذلك وعلله، قال: فلما خرجنا من عنده قال لي ابن النفيس: والله تعلمت اليوم منه ما لا كنت أعلمه.

هذا في علم المحاسبة فقط، كما جلس معه.

أيضًا روى الصفدي في الوافي بالوفيات قال حكي لنا أنه قال يومًا للشيخ صدر الدين بن الوكيل وطبعًا ده إمام أئمة الشافعية يعني من أكبر علماء الشافعية، فاضطر أن يقول له أحيانًا في المناظرة يا صدر الدين، أنا أنقل في مذهب الشافعي أكثر منك، يعني أنت تعرف أني متمكن في مذهب الشافعي أكثر منك، وأنقل عن المذهب الشافعي أكثر ما تنقل أنت.

وقال الشيخ شمس الدين: وأما أصول الدين ومعرفة الخوارج والروافض والمعتزلة والمبتدعة، فكان لا يشق فيها غباره رحمه الله تعالى.

لم يطرق شيخ الإسلام بابًا من أبواب العلم إلا وفتحه الله له على مصراعيه، حتى قال فيه أحد معاصريه العبارة التي قيلت في مين؟ في جده، قد ألان الله له العلوم كما ألان لداود الحديد، كان إذا سئل على فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وذكر الحافظ بن رجب في ذيل الطبقات قول ابن الزملكاني وهو من هو في العلم والفضل والإمامة والرياسة، وابن الزملكاني يقول على شيخ الإسلام: إنه لم يرى من خمسمائة سنة أو قال من أربعمائة سنة أحفظ منه.

من خمسمائة سنة أو أربعمائة سنة ما رؤي أحفظ من شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وكما ذكرنا كان جميع الفقهاء من جميع الطوائف والفرق إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك.

بقي الكلام فيما يتعلق بنشأة شيخ الإسلام وعوامل تكوين شخصيته رحمه الله تعالى بحثان لاثنين من العلماء، الأول الشيخ عبد المبين منظر رحمه الله تعالى، دي عبارة عن ندوة كبيرة جدًا كانت قد عقدت في الجامعة السلفية في الهند، لأن شيخ الإسلام له تأثير رائع جدًا على الهند والهند طبعًا كما تعرفون زمان كانت تشمل الهند وباكستان وبنجلادش، طبعًا كشمير من باكستان.

فعقدت هذه الندوة فيها بحوث رائعة جدًا عن شيخ الإسلام ابن تيمية فنبتدئ هذه الليلة بإنهاء هذه المقدمات كلها بالدخول في خصائص أكثر نوعية من خصائص شيخ الإسلام، فنختم الكلام بالكلام على العوامل التي كونت شخصية شيخ الإسلام وهذا على سبيل التجميع، لما ذكرناه من قبل متناثرًا.

الشيخ عبد المبين المنظر الهندي هذا، اعتبر أن هذه العوامل ثلاث عوامل ساعدت على تكوين شخصية شيخ الإسلام ابن تيمية:

الأولى: البيئة العلمية، بيئته هو العلمية يعني من داخل الأسرة، بيئته العلمية.

الثاني: قوة الحفظ وحدة الذاكرة.

الثالث: الأحوال الاجتماعية في عصره، اللي هي البيئة العلمية الأوسع في عصره.

الرابع انكبابه على تحصيل العلم بكل همته مما أدى من إحاطته بالعلوم والفنون.

الخامس: التدريس والتأليف، والبحث والنقد.

السادس: زهده وورعه وإخلاصه، وربانيته.

السابع الشجاعة والبسالة والجرأة.

يقول رحمه الله تعالى: شخصية شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني ثم الدمشقي العلمية العظيمة منقطة النظير، يستحق عقد عشرات الندوات حول حياته العلمية.

وتقدير لدى العلماء والمثقفين قديمًا وحديثًا، فإنه كان جبلًا في الحفظ والاتقان، بحرًا لجيًا في العلم والمعرفة، فارسًا مغوارًا في الشجاعة والبسالة، منقطع النظير في التأليف درًا مكنونًا في الأخلاق الكريمة والشيم الحميدة، زاهدًا ورعًا تقيًا حاذقًا في الطب والجغرافيا، والفلكيات والرياضيات، مخزن علوم الكتاب والسنة، إمامًا في الفهم السريع والذكاء الحاد، عالمًا محذيرًا في المنطق والفلسفة خطأ الغزالي والرازي وابن عربي وأرسطو وابن سينا وسيبويه الأئمة الحذاق وأبحار الفن.

ثم يذكر العناصر التي كونت هذه الشخصية الفذة، أولًا: يقول بيئته العلمية إن أول عنصر في تكوين شخصية شيخ الإسلام العلمية هو بيئته وأسرته العامرة بالعلوم والفنون فكان كل فرد من أسرته مركزًا من مراكز العلم، وكان والده وجده وجميع أهل بيته متضلعين بالعلوم الشرعية.

وكان والده أحد أركان العلم والبارع في الحفظ والاتقان في العلوم، ولد شيخ الإسلام في هذه الأسرة العلمية الشهيرة، وكان عصر ابن تيمية مليئًا بالقلاقل والحوادث، وما كاد ابن تيمية يبلغ سبع سنين من عمره حتى أغارت التتار على حران، فالتجأت أسرته إلى الفرار منها إلى دمشق بجميع ما كان لديها من تراث العلم والفضيلة، تاركة جميع الأثاث المنقول وغير المنقول، وما كادت إلى طبعًا الكتب كما ذكرنا من قبل، وما كانت كادت هذه الأسرة العلمية تصل إلى دمشق حتى شاع خبرها في أوساط الناس.

وما مضى إلا بضعة أيام في دمشق حتى بدأ ابن تيمية يدرس في الجامع الأموي وسطع نجم العلم الغزير، وبالجملة فإن والده وجده وجميع أهل بيته منذ قرون كانوا معروفين بالعلم والحفظ والإتقان فري بين بين الأقران، وقد حفظ القرآن الكريم في صغره، وتلقى العلوم والفنون من والده ثم من جميع العلماء البارزين في هذا العصر، واستفاد من البيئة العلمية وبرع في جميع العلوم والفنون، وقد زاده علمًا ومعرفة الذاكرة القوية، ده العنصر الأول.

العنصر الثاني أو العامل الثاني لتكوين شخصية الإمام الهمام هو قوة الحفظ والذاكرة الحادة التي ورثها من أبيه وجده، فأحرز العلوم والفنون الكثيرة فاشتهر سيته في صغره، فكانت ذاكرته حديث زملائه، بل تجاوز صيته دائرة الصبيان إلى حلقات الرجال، وتحير العلماء الكبار، والحفاظ المعروفون بقوة حفظه وإتقانه وذاكرته.

يقول تلميذه أبو حفص البذار ومن أعجب الأشياء أنه في محنته الأولى في مصر، لما أخذ وسجن وحيل بينه وبين كتبه، صنف عدة كتب صغارًا وكبارًا، وذكر فيها ما احتاج إلى ذكره من الأحاديث والآثار وأقوال العلماء وأسماء المحدثين والمؤلفين ومؤلفاتهم، وعزى كل شيء من ذلك إلى ناقليه وقائليه بأسمائهم، وذكر أسماء الكتب التي ذلك فيها، وفي أي موضع هو منها كل ذلك بديهة من حفظه لأنه لم يكن عنده حينئذ كتاب يطالعه، يعني لما سحبت منه الأوراق والكتب في السجن ألف بعض الرسائل وعزى فيها الأحاديث تخريجًا وينقل عن بعض الكتب ويذكر من المؤلف وفي أي كتاب وفي أي موضع **... إلى آخره**، وليس لديه أي مرجع يرجع إليه، إنما من حفظه بديهة.

يقول الشيخ هنا: وقد اعترض الشيخ أبو زهرة على هذا، ونقده وقال إن فيه غلوًا، ولكن عندي في نقده هذا نظر، لأن عدم المنع من الكتابة في حقه بمصر لا يلزم أن يكون عند الشيخ كتب يطالعها، ويرجع إليها ويحيل إليها، وقول الحافظ أبي حفص ليس فيه المنع من الكتابة، بل كل ما في قوله أنه حيل بينه وبين كتبه، لكن لا يمنع أنه كتب في أثناء ذلك.

والقرينة تدل على أنه حينما حبس فكأنه أبعد من الكتب لأنه في السجن، لا يمكن الرجوع إلى المراجع المطلوبة، وخاصة أن هذه القصة تدل على ذاكرته القوية، وهذه القصة ليست وحيدة، هذا تواتر عن شيخ الإسلام، بل هناك عشرات من القصص تنبأ عن ذكائه الحاد وحفظه الكامل وذاكرته العجيبة، فهذا هو أمير السبة، يسأله أن يجيز لأولاده بمرويات كتبه.

هذا الأمير يسأله أن يجيز لأولاده بمروياته كتابة، وهو محبوس في سجن الإسكندرية، فكتب له في عشر أوراق محتوية على ستمائة سطر، وكان فيها سبعة أحاديث قد ذكرها بأسانيدها وشرح ألفاظها وحكم على صحتها في ضوء أقوال الأئمة، وبين معانيها التي يعترف بها كل من له إلمام كامل بعلم الحديث.

وما كان عنده من الكتب ما يعتمد عليه، بل كتب كل ذلك معتمدًا على ذاكرته القوية، وأيضًا كتاب الحموية الذي أقام الدنيا في زمنه وحصل الفتن ومحاكمات وسجن وإهانة وابتلاءات لشيخ الإسلام بسبب كتاب الفتوى الحموية الكبرى.

هو عبارة عن كتاب أملاه في جلسة واحدة فقط، من حفظه بين العصر والمغرب، أملاه على الرجل وهو يكتب من ذاكرته، وأملاه واقرءوا الكتاب تدركوا مدى موسوعية هذا الرجل الفذ، وذكائه العجيب، فكتاب الفتوى الحموية أملاه من ذاكرته لما جاله السؤال من حماة عشان كده اسمها الفتوى الحموية الكبرى، فهذا الفيضان فاض من هذا العلم من حفظه وذهنه رحمه الله تعالى.

يقول الشيخ يوسف يامين قد آتى الله ابن تيمية من قوة الحفظ والوعي أكثر مما أتاه لأي شخص عرفناه أو سمعنا عنه، ويقول العلامة رشيد رضا رحمه الله تعالى: ومن الغريب أن هذه المسائل كان يكتبها شيخ الإسلام قدس الله روحه أو يمليها من غير مراجعة كتاب من الكتب، وهي من الآيات البينات والبراهين الواضحات أن هذا الرجل من أكبر آيات الله في خلقه.

وكان يقول الحافظ أبو الحجاج المزي: لم يرى مثله منذ أربعمائة سنة، ويقول معاصروا الحافظ الزملكاني وحريفه في الجدل والمناظرة لما سئل عنه، مع أنه كان يناظره ويتكلم معاه، يقول: لم يرى منذ خمسمائة سنة أحفظ منه.

وقال القاضي أبو الفتح بن دقيق العيد: لما اجتمعت بابن تيمية رأيته رجلًا كل العلوم بين عينيه يأخذ ما يريد ويدع ما يريد، فقلت: ما أظن الله بقي يخلق مثلك، ما كنت أظن أو ما أظن أن الله بقي يخلق مثلك.

كما ذكرنا ونذكركم بهذه القصة اتفق أن بعض مشايخ حلب مشايخ العلماء في حلب قدم إلى دمشق، وقال: سمعت في البلاد يعني وهو في حلب سمع عن صبي يدعى ابن تيمية وأنه سريع الحفظ، وقد جئت قاصدًا لعلي أراه، فقال له الخياط هذه طريق كتابه، وهو إلى الآن ما جاء، فاقعد عندنا الساعة حتى يجيء، فجلس الشيء الجليل قليلًا، فمر صبيان فقال للشيخ الحلبي: هذا الصبي الذي معه اللوح الكبير هو أحمد بن تيمية، فناداه الشيخ فجاء إليه، فتناول الشيخ اللوح فنظر فيه، ثم قال يا ولدي: امسح هذا حتى أملي عليك شيئًا تكتبه، ففعل، فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر أو ثلاثة عشر حديثًا، فقال: اقرأ هذا، فلم يزد أن تأمله مرة بعد كتابته إياه، ورفعه إليه وقال: اسمعه، فقرأه عليه عرضًا كأحسن ما أنت سامع، سمع الأحاديث من نظرة واحدة فقط في اللوح.

فقال: يا ولدي امسح هذا، ففعل، فأملى عليه عدة أسانيد انتقبها ثم قال: اقرأ هذا، فنظر فيه كما فعل أول مرة، فقام الشيخ وهو يقول: إن عاش هذا الصبي ليكونن له شأن عظيم، فإن هذا لم يرى مثله.

وحكى الحافظ أبو حفص أخبرني الشيخ الصالح تاج الدين، محمد المعروف بابن الدوري أنه حضر مجلس الشيخ **رضي الله عنه** وقد سأله يهودي في مسألة القدر، قد نظمها شعرًا في ثمانية أبيات، وإن شاء الله حينما نتكلم على القدر عند ابن تيمية سنأتي بهذه القصية التائية المشهورة، فكان يسخر من الإسلام ومن عقيدة المسلمين في القضاء والقدر بجهله هذا اليهودي، في ثمانية أبيات سأل نظمها شعرًا.

فلما وقف عليها شيخ الإسلام فكر لحظة يسيرة وأنشأ يكتب جوابها في الحال من ذاكرته، وجعل يكتب ونحن نظنه يكتب نثرًا، فلما فرغ تأمله من حضر من أصحابه، فإذا هو نظم في بحر أبيات السائل وقافيتها، تقرب من 184، 184 بيت معروفة قصيدة متداولة، القصيدة التائية في القدر معروفة.

وقد أبرز فيها من العلوم ما لو شرح بشرح لجاء شرحه مجلدين كبيرين، هذا من جملة جواهره وكم جواب فتوى لم يسبق إلى مثل رحمه الله تعالى.

إذًا هذا فيما يتعلق بعبقريته في الحفظ والذاكرة القوية، العامل الثاني من عوامل شخصيته، أيضًا من عوامل تكوين شخصية شيخ الإسلام الأحوال العلمية، الأحوال الاجتماعية والبيئة العلمية في زمنه.

يقول: العنصر الثالث في بناء شخصية الإمام ابن تيمية هو البيئة العلمية والاجتماعية والسياسية، يعني ممكن تقترب كثيرًا جدًا من وضعنا الآن، لذلك الشيخ النادو رحمه الله تعالى له بحث رائع في هذه البحوث يقول فيه: إنه يصح أني قال إن هذا العصر يعني عصرنا نحن الذي نعيش فيه، إن هذا العصر عصر ابن تيمية، وشرح ذلك بالتفصيل، يعني يتكلم عن خصوص مش عموم، نحن نقول رجل لكل العصور، فهو يبين كيف هو رجل هذا العصر بالذات، كأنه يعيش معنا وسوف نأتي بمواقف لشيخ الإسلام، ونصوص ونقول عنه تبهر من يطلع عليها كأنه يعيش بيننا، من عجائبه في معالجة الأمور.

يقول: إن الإنسان يتأثر بالبيئة التي يعيش فيها، ويكون لها تأثير كبير في توجيه أعماله، وتعينه في اختيار منهج العمل، فإن نهاية القرن السابع، وبداية القرن الثامن الذي نشأ فيه الإمام الهمام، كانت محاطة بالحوادث والبلايا، وكاد المسلمون في هذه الأيام قد تفرقوا شيعًا وأحزابًا، وتقيم النفاق والشقاق فيما بينهم بعدما فقدوا الوحدة والاتفاق، وكانوا يدينون بالبدع والخرافات، وكان الأعداء يضيقون عليه من كل جانب، ويتربصون بهم الدوائر، وكانت الخلافة قد قصرت في مصر والشام والحجاز، إلا أن الصليبيين قد سيطروا على بعض نواحي الشام، وأثار الصليبيون والملاحدة الفتن فيها من جانب، والتتر يريدون التسلط على المسلمين من جانب آخر، وكانت الخلافة العباسية قد سقطت فصارت الفوضى وانتشرت السرقة والسلب والنهب.

وبدعة التعصب المذهبي بلغت الغاية من أمرها، وكان الفقهاء والمتكلمون والمتصوفون قد حالوا بين الكتاب والسنة، والعمل بهما، وصرفوا الناس عنهما إلى آراء الأئمة وأقيسة الفقهاء وخزعبلات الصوفية، وسدوا أبواب الاجتهاد، وأجبروا الناس على عقيدة الأشاعرة في الأصول وتقليد الأئمة الأربعة في الفروع، بحيث كانوا يرون الخروج جرمًا عظيمًا، وخروجًا من الدين.

يأولون الكتاب والسنة وفق آرائهم الفاسدة ويخيمون معانيها حسب هواهم ولا يعرضون أقيستهم على الكتاب والسنة، وكانت تقضي وتحكم في الأمور الدينية بعقية الملوك والرؤساء، فكان الناس على دين ملوكهم بعد ما جعلوا الكتاب والسنة وراء ظهورهم، وليس معناه أن العصر كان عاريًا من العلماء المخلصين، والمشايخ المتحمسين المتمسكين بالكتاب والسنة، بل كان هناك جم غفير من العلماء والفضلاء في ذلك العصر.

يقول أبو الكلام أذان رحمه الله: العصر الذي عاش فيه الإمام ابن تيمية قد انتشرت فيه البدع والخرافات وتشتت شمل المسلمين وتفرقت كلمتهم وكان المسلمون في أعمالهم العلمية والعملية في انحطاط وتأخر ولكن مع هذا كان هناك جماعة من العلماء الكاملين والحفاظ البارعين والأئمة الأعلام ولقاب الحديث في جميع أنحاء العالم الإسلامي خاصة في مصر والشام، فإنهما كانتا مجمع العلماء ومأواهم.

يقول القاضي أبو البركات المخزومي في قصيدته البائية في علماء الشام، وكان في عصره بالشام يومئذ سبعون مجتهدًا من كل منتخب، وهؤلاء هذا الجم الغفير من العلماء ليسوا من العلماء العاديين بل من نقاد الحديث وعظماء الوقف في الفقه والفنون الإسلامية ضربوا ذروة في الاجتهاد والنظر ما اجتمع مثل هؤلاء الكبائر بعدهم في عصر من العصور، وكان من نبلاء هذا العصر أبو الفتح بن سيد الناس الإشبيلي، شمس الدين المقدسي، أبو العلاء الأنصاري السبكي، القاضي ابن الزملكاني، السيد أبو المحاسن الدمشقي، أبو عبد الله الحريري، أبو العباس بن عمر الواسطي، الحافظ أبو الفداء عماد الدين بن كثير، الحافظ أحمد بن خزامة المقدسي، أبو إسحاق المقدسي، الإمام برهان الدين الفزاري، الحافظ صلاح الدين البعلبكي، الشيخ صفي الدين البغدادي، الحافظ ابن الشامي الدمشقي، القاضي تقي الدين الدقوقي، الشيخ عمر بن الوردي، الإمام أبو العباس بن الحدي، الحافظ جمال الدين العقيلي، الحافظ البرزاري الإشبيلي، الشيخ تقي الدين السبكي، الحافظ جمال الدين المزي، الإمام تقي الدين بن دقيق العيد، أبو حيان صاحب التفسير، الحافظ أبو عبد الله الذهبي.

هذا غيض من فيض، ومن أراد الاطلاع على علماء هذا العصر، فليطالع مصنفات الحافظ الذهبي والعسقلاني وابن قدامة، وأمثالهم.

مع هذا كله كانت الحاجة ماسة إلى بطل جليل متحمس للدين الحنفي والدعوة إليه لا يبالي لومة لائم في سبيل الدعوة إلى الله وإصلاح المجتمع والتفاني في الله، فكان ابن تيمية في عصره وحيدًا فريدًا، متصفًا بهذه الصفات مجاهدًا في سبيل الله، فكانت هذه الشخصية الفذة التي نجحت في إصلاح المجتمع وإزالة جميع الرزايا الخلقية والدينية بجهوده القيمة.

وما كان أحد في عصره ولم يرى بعده من يدانيه ويضارعه، فإنه فرج عن كروب كثيرة من المسلمين، ومشاكلهم الدينية والاجتماعية بعون الله وتأييده ثم بجهوده المخلصة، وكان غيورًا على دين الله وحدوده وأحكامه، فما رأى أحدًا من الأمراء والحكام يتكاسل أو يتذاهن في إقامة حدود الله وتنفيذ شريعته إلا قام إليه ناصحًا وزاجرًا يأخذ تلاميذه ومعتقديه ويقوم بتنفيذ أوامر الله وحدوده.

كما فاز بتوجيه كثير من السراق وقطاع الطرق والملحدين والمتصوفين والشيعة والنصارى، والفاطميين والباطنيين إلى التوبة والإنابة إلى الله بكل صدق وإخلاص، واستأصل من لم يتب إلى الله منهم، خرب مصانع الخمر والقمار، وقضى على كثير من أماكن السفاح والزنا، وقد رسخت عقيدة التوحيد في قلوب المسلمين بعد أن غاب عنهم منذ زمن طويل.

وبمصنفاته الكثيرة قضى على العقائد الشركية، وعبادة القبور، والقرابين لغير الله والاستغاثة بغير الله، والتصوف والرهبانية التي ابتدعوها، وغيرها من البدع والخرافات والشركيات التي كانت سائدة في هذا العصر.

كما ألف كثيرًا من الكتب في رد الوسيلة المخترعة، وكذلك رد على النصارى والملحدين والمتكلمين، فإن العلماء منذ قرون كانوا مندهشين بالفلسفة ومتأثرين بها، كما رد على المقلدين الجامدين ونشر الكتاب والسنة، وكان الشيخ مخلصًا في نشر الإسلام وإصلاح المجتمع ونشر تعاليم الكتاب والسنة، حتى كان لا يبالي في مخالفة الأئمة إزاء نصوص الكتاب والسنة، كائنًا من كانوا، ولا يحيد عن الحق قيد شبر، ولا يخاف في إظهاره لومة لائم.

يقول تلميذه أبو حفص البزار: كان إذا أوضح له الحق يعض عليه بالنواجز، والله ما رأيت أحدًا أشد تعظيمًا لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولا أحرص على إتباعه ونصر ما جاء منه وكان إذا أورد شيئًا من حديثه في مسألة ويرى أنه لم ينسخه شيء غيره من حديث يعمل ويقضي ويفتي بمقتضاه، ولا يلتفت إلى قول غيره من المخلوقين كائنًا من كان.

وإذا نظر المنصف إليه بعين العدل يراه واقفًا مع الكتاب والسنة، ولا يميله عنهما قول أحد كائنًا من كان، ولا يرقب في الأخذ بعلومهما أحدًا ولا يخاف في ذلك أميرًا ولا سلطانًا ولا سيفًا ولا يرجع عنهما لقول أحد، ثم يذكر العنصر الرابع وهو تحصيله للعلم وانكبابه على القراءة والمطالعة، والحرص على طلب العلم.

يقول الشيخ ابن عبد الهادي: كان عدد شيوخه الذين أخذ منهم الحديث فقط، الشيوخ الذين تلقى منهم الحديث بالسماع المباشر، أكثر من مائتي شيخ، وكان في هذا العصر المدارس العلمية والمعاهد الدينية منتشرة، وكذلك المكتبات الذاخرة بأنواع من الكتب في سائر الفنون من النحو والصرف والأدب واللغة والتفسير والحديث وعلم الرجال، والفرائض والفقه، والتاريخ والسير والمنطق والفلسفة وعلم الأديان والمذاهب والفرق وعلم النجوم والرياضة والهندسة.

فربا ذلك الإمام نفسه تربية عالية، فترك العلوم التي كانت رائجة في عصره، ولم يطرق بابًا من أبوابها إلا أتقنه.

وربما طالع أكثر من مائة تفسير في الآية الواحدة، يقول للأسف الشديد المدعو محمد عيسى داود الدجال المشهور، يتكلم عن شيخ الإسلام ويقول: إن ابن تيمية، ابن تيمية الذي يحبه هؤلاء الناس الذين ألسنتهم أطول من أجسادهم، يقول: كان يقول إنه قرأ في تفسير سورة النور أكثر من مائة تفسير، يقول وأنا أريد واحد يعد لي عدد التفسيرات الموجودة نشوف توصل كم تفسير، ما توصلش مائة، فإما إن الرجل كذاب يعني يقصد شيخ الإسلام والعياذ بالله.

والشاهد من الكلام هو يريد أن ينفث سمومه للتقليل من شأن شيخ الإسلام، فأنت لا تعرف عدد كتب التفسير فحتى وهذا شيخ الإسلام وهو يقول هذه العبارة الآن، فده شيء بالنسبة لشيخ الإسلام يعرف مائتين تفسير لا يستكثر على شيخ الإسلام، فلو عرف قدر شيخ الإسلام لما تفوه بهذا الإفك وهذا العدوان.

يقول شيخ الإسلام: ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير، ثم أسأل الله الفهم وأقول يا معلم آدم وإبراهيم علمني، وكنت أذهب إلى المساجد المهجورة ونحوها، وأمرغ وجهي على التراب، يعني يسجد لله في التراب في المساجد القديمة، وأسأل الله تعالى وأقول: يا معلم إبراهيم علمني يا مفهم سليمان فهمني، وكانت المسألة أحيانًا تستغرق عليه فيظل يستغفر الله -سبحانه وتعالى- إلى أن يفتح الله عليه بالجواب.

لم يكن شيخ الإسلام مقتصرًا على فن من الفنون العلمية، بل كان بحرًا في سائر ما كان معروفًا من العلوم بما في ذلك طبعًا علوم الدنيا، يقول بعض العلماء في وصفه بحر العلوم وكنز كل فضيلة في الدهر فرد الزمان إمام، فلئن تأخر في الزمان الثامن فلقد تقدم في العلوم أمام.

أيضًا من عناصر تكوين شيخ الإسلام التدريس والتأليف والبحث والنقد، فعصره كان يتطلب أن يتوجه إلى جميع ميادين العلم الوعظ الخطب التدريس التأليف النقد التمحيص الإفتاء، ويزيح الستار عن البدع والخرافات التي كانت منتشرة في ذلك الوقت يروجها بعض الشيوخ، فقام الشيخ يرد عليهم ويفند آراءهم ويبطلها.

يقول الحافظ الذهبي: له باع طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين، قل أن يتكلم في مسألة إلا يذكر فيها المذاهب الأربعة، ولقد خالف الأربعة في مسائل معروفة، وصنف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة، وله الآن عدة سنين لا يفتي بمذهب معين، بل بما قام الدليل عليه عنده، ولقد نصر السنة المحضة، والطريقة السلفية، واحتج لها ببراهين ومقدمات، وأمورًا لم يسبق إليها، وأطلق عبارات أعجم عنها الأولون والآخرون وهابوا وأقدم هو عليه، حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام، قيام لا مزيد عليه وبدعوه وناظروه وكتبوه وهو لا يداهن ولا يحابي بل يقول الحق المر الذي أداه إليه اجتهاده وحدة ذهنه وسعة دائرته في السنن، والأقوال مع ما اشتهر به من الورع وكمال الفكر وسرعة الإدراك.

العنصر التالي في تكوين شخصيته الزهد والورع وإخلاص النية.

يقول الحافظ أبو حفص البزار: وأخبرني غير واحد أخبرني غير واحد أنه ما رأه ولا سمع أبدًا عن شيخ الإسلام أنه طلب طعامًا قط ولا غداءًا ولا عشاءًا ولو بقي مهما بقي يعني إذا كانش الطعام يأتيه لا يتذكر أنه يحتاج إلى الطعام، ما سمع أنه طلب أبدًا طعامًا أو شرابًا أو عشاءًا أو غداءًا.

يقول: وأخبرني غير واحد أنه ما رآه ولا سمع أنه طلب طعامًا قط ولا غداء ولا عشاء، ولو بقي مهما بقي بشدة اشتغاله بما هو فيه من العلم والعمل، كان يؤتى بالطعام، وربما يترك عنده زمانًا حتى يلتفت إليه، وإذا أكل أكل شيئًا يسيرًا.

قال: وما رأيناه يذكر من ملاذ الدنيا ونعيمها، ولا كان يخوض في شيء من حديثها، ولا يسأل عن شيء من معايشها، بل جل همته وحديثه في طلب الآخرة وما يقرب إلى الله -سبحانه وتعالى-.

يقول أيضًا: لم يسمع أنه رغب في زوجة حسناء ولا سرية حوراء، ولا دار قوراء، وجواد ولا بساتين، ولا عتاد ولا شاد على دينار ولا درهم، ولا رغب في دواب ولا نعم، ولا ثياب ناعمة فاخرة، ولا حشم، ولا زاحم في طلب الرياسات، ولا روي ساعيًا في طلب المباحات، مع أن الملوك والأمراء والتجار والكبار كانوا أطوع لأمره خاضعين لقوله وفعله رحمه الله.

يقول معاصرو الفضل العمري: كان تأتيه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، والخيل المثومة والأنعام والحرث، فيهب ذلك أجمعه ويضعه عند أهل الحاجة في موضعه، لا يأخذ منه شيئًا إلا يهبه، كما كان بعيدًا عن طلب الرياسة والمناصب العليا، في الحكومة، يقول أبو حفص البزار، حين وشي به بعض الناس وشوا بشيخ الإسلام إلى السلطان الملك المعظم الناصر، فأحضره بين يديه، فكان من جملة كلامه، إنني أخبرته أنك قد أطاعك الناس، الناس أطاعوك، يعني في نوع من الجمهرة حولك، فإني أخبرت أنك قد أطاعك الناس، وأن في نفسك أخذ الملك، أنت عايز تقلب نظام الحكم.

فلم يكترث به، بل قال له بنفس مطمئنة، وقلب ثابت، وصوت عالٍ سمعه كثير ممن حضر: أنا أفعل ذلك والله إن ملكك وملك المغول لا يساوي فلسين، إن ملكك وملك المغول التتار طبعًا كانت مملكة عظيمة جدًا، عندي لا يساوي فلسين، أنا أفعل ذلك والله إن ملكك وملك المغول لا يساوي فلسين، فتبسم السلطان لذلك وأجابه في مقابلته بما أوقع الله له في قلبه من الهيبة العظيمة، وقال: إنك والله لصادق، وإن الذي وشى بك إليّ كاذب.

فالحقيقة يقول الشيخ هنا: الصفحات تضيق عن القصص التي تدل على ورعه وزهده وخشيته وتقواه، وإنكبابه على نشر العلوم والدين.

يعني عنصر الربانية أيضًا عنصر بارز جدًا في شخصية شيخ الإسلام، يعني يعتريه نوع من التوازن في الشخصية، يعني تلاحظ إن إذا انصرف إلى العلم يستغرقه العلم ويقصر في العبادات والأذكار والأمور الربانية، إذا شغل بمجال ينشغل عن مجال آخر، شيخ الإسلام كانت صلته بالله -سبحانه وتعالى- شيئًا لا ينقطع.

يقول الذهبي رحمه الله تعالى: لا لذة له في غير نشر العلم، وتدوينه والعمل بمقتضاه، مع هذا كله كان أواه حليمًا مبتهلًا إلى الله.

كان الحافظ أبو حفص اللي هو مؤلف كتاب الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، يحكي أنه مرة صلى جنب شيخ الإسلام فيذكر يقول: يصف فقط كيفية نطق شيخ الإسلام بتكبيرة الإحرام، قال: ارتعدت لها القلوب، من الخشية والورع والهيبة فقط في نطقه كلمة الله أكبر.

فيحكي عما حصل في القلوب من الرهبة والهيبة والتعظيم لله -سبحانه وتعالى- فقط لمجرد نطقه بلفظة التكبير رحمه الله تعالى.

فمع يقول علامة الذهبي: لم أرى مثله في ابتهاله واستغاثته وكثرت توجهه، يقول وكان في ليله منفردًا عن الناس كلهم، خاليًا بربه عز وجل، وضارعًا إليه مواظبًا على تلاوة القرآن مكررًا لأنواع التعبد الليلة والنهارية وكان إذا دخل في الصلاة ترتعد فرائسه، وعطاؤه حتى يميل يمنة ويسرًا رحمه الله تعالى.

من الإخلاص في العمل أن يحسن الإنسان إلى أعدائه وإلى من أساءوا إليه، لأن هذا يدل على الإخلاص، هذه الخاصة في شيخ الإسلام من العجائب، وسوف نبينها بالتفصيل أكثر، كان عنده قدر عجيب جدًا من التسامح مع خصومه رغم ما كالوا له من الكيل، كان يقول شيخ الإسلام: ما يصنع أعدائي بي، أما إن جنتي وبستاني في صدري إن رحت فهي معي لا تفارقين لأننا كما قلنا من قبل كانت علومه تدخل معه الحمام، فالعلم في صدره، والجنة في صدره، فهي تتنقل بتنقله في أي مكان فيقول لما كان يهدد بالسجن والحبس أو بعد ما حبس بالفعل، أول ما قفلوا عليه الزنزانة قال ايه؟ { فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ }.

وكان يقول: ما يصنع أعدائي بي؟ إن جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة وإن قتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.

وهذه هي الذكاء والحصافة، الإنسان مهما وضع في ظروف يحاول أن يحول الظروف إلى صالحه، وينظر إلى الجزء الفارغ من الكوب ينظر إلى إمكانية أنه يحول الظروف التي وجد فيها إلى صالحه، سواء كانت ظرفًا من مرض من فقر انظر إلى الجانب الإيجابي واستثمره في نفسك، حتى لا تنخذل أمام المحن.

كان من دأبه وأخلاقه أنه عفى عن الذين زجوا به في السجن بالوشاية، وما شكى إلى أحد في هؤلاء بل صبر واحتسب، وقد استفاد منه خلق في السجن بحسن صحبته، يقول أعدى أعدائه، وخصمه العنيد القاضي المخلوف المالكي، اللي هو كان تآمر عليه تآمرات شديدة جدًا.

يقول: ما رأينا أتقى من ابن تيمية، فعينا في دمه فلما قدر علينا عفا عنا، وهذا سيأتي بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

ثم يختم الكلام بالعنصر الأخير في نظره في تكوين شخصية شيخ الإسلام وهي البسالة، والشجاعة الجرأة، فأودع الله فيه الشجاعة الكاملة بجانب العلوم والفنون، فظهرت شخصيته بارزة، وقام بالبحث والنقد والمناظرة، والمباحثة، نبه الأمراء والحكام بالصدع وصدع بالحق أمام الجبابرة وأصحاب السلطة، جاهد في الله حق جهاده حينما قعد عن الجهاد نفر كثير من الأبطال.

مع أن الأعداء محدقون به في كل جانب مجمعون على الإضرار به والإساءة إليه لكنه مضى في عمله مع كل هذه العراقيل، ولم يبالي بشيء منه مهما بلغ من الأذى ومن الإدراك فسجن مرات وكرات وفي أثناء اعتقاله ما أمسك نفسه عن الرد على المبتدعين والخرافيين، يقول القاضي عبد الله الأخنائي.

كان القاضي رد عليه، القاضي عبد الله الأخنائي المالكي رد عليه ردًا علميًا في سجنه ولم يبالي بشيء ولم يشغله أمرًا عن أمر، ورد الأخنائي كتاب كبير معروف، الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية.

ولما جاء التتار سنة 699 هزموا عساكر الناصر ابن قلوون وشتتوهم شذر مذر لكن كان أمر الله قدرًا مقدورًا، فولى جند مصر والشام الأدبار واجتازوا دمشق فارين إلى مصر، وصار جند، الأمراء هربوا من أمام التتار، صار جند التتار على أبواب دمشق وأهلها في زعر، وفر كثير من أعيان العلماء إلى مصر، كقاضي الشافعية إمام الدين، وقاضي المالكية وغيرهم من كبار العلماء، وكبار الرجال.

عالم واحد فقط لم يفر أمام التتار، وبقي مع العامة ولم يخرج، وجمع أعيان البلد وذهب معهم إلى ملك التتار، ومم خاطبه عن طريق الترجمان قال: قل للقاذان إنك تزعم أنك مسلم، ومعك قاض وإمام وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا، فأبوك وجدك كانا كافرين وما عملا الذي عملت، وعاهدا فوفيا، وأنت عاهدت وغدرت، وقلت فما وفيت.

وقد تجلت جرأته حتى الجالسين قالوا بدءوا يجمعوا ثيابهم عشان الدم يقطع رقبته لا يتناثر على ملابسهم، لكن الله أيده وألقى هيبته في قلب هذا الملك، فله مواقف كثيرة جدًا مع ملوك التتار كما سيأتي إن شاء الله فيما بعد.

هناك مقالة أخرى سنقتصر على بعض العناوين، أيضًا لنفس العنوان العوام التي كونت شخصية الإسلام ابن تيمية الدكتور محسن العثماني النندوي، ذكر أن هذه العوامل ربانيته واتصاله بالله، فيقول ابن كثير في شأن ابن تيمية: لم أرى مثله في ابتهالاته واستعانته بالله وكثرة توجهه إليه تبارك وتعالى، أيضًا العامل الثاني الإرادة القوية والعزم الصميم.

يقول: ولم يسترح شيخ الإسلام ليلة واحدة، ولكنه ظل مشتغلًا حتى في السجن بتمحيص آرائه وتدوينها ومراجعتها وكتب كثيرًا في تفسير آيات الله البينات، وأخرج ما كان لديه من الأوراق والكتب والمحابر والأفلام ومنع منعًا باتًا من المطالع والدراسة، فلجأ إلى البحث وبدأ يحبر آراءه وخلاصة فكره بهذا الحبر، وجعل من الجدران جدران الزنزانة ورقًا ومن البحث قلمًا وبدأ يؤلف ولو كان محرومًا من القلم والقرطاس.

طبعًا دي إرادة في غاية القوة لا يستسلم للظروف التي حوله، وإنما هو يقهر بقدر استطاعته هذه الظروف، أيضًا عمل كانت هو الذاكرة القوية وتكلم طبعًا في هذا بالتفصيل لا داعي لذكره.

العامل الرابع: العكوف على المطالعة وإتقان العلوم، والمذاكرة وبلغ من شدة علاقته يقول: أول ما اتجه إليه في مقتبل عمره وفضل حياته والقرآن الكريم وحفظ القرآن وهو حديث السن واستمر حافظًا مدى حياته يستسيغه وينهل من معانيه بصفة مستمرة وختم القرآن ثمانين ختمة في السجن ثم تكلم عن علومه أيضًا بتوسع أكثر من ذلك.

العامل الخامس هو فساد البيئة العلمية والاجتماعية، والعقائد والأخلاق والسياسة في عصره، أن هذه تعامل معها شيخ الإسلام بالتحديث مش الاستسلام لها ولا التلون بلونها، وإنما واجه هذا الواقع ويقول: ليس الإمام ابن تيمية من أولئك الأشخاص الذين ينصرفون إلى الأعمال العلمية والقلمية ويطبقون أجفانهم على المساوئ المتفشية في المجتمع بل كان صاحب قلاقل وزلازل ومن الذين يقومون بالهجوم على الباطل واقتلاع الفساد من جذوره، وبالعمل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر **... إلى آخر الكلام في هذه الجوانب، فهذا اختصار لهذه العوامل التي أثرت في تكوين شخصية شيخ الإسلام ابن تيمية وللحديث إن شاء الله تعالى بقية في الأسبوع القادم بإذن الله تعالى.**

**أنا ملاحظ الأسئلة مابنلاقيش وقت طبعًا لها أنا باحاول أجمع الأسئلة ونفرد لها مرة درسًا كاملًا بجوابها إن شاء الله.**

**نكتفي بهذا القدر ونذكر الإخوة بالفرصة العظيمة التي هي سانحة إن شاء الله تعالى خلال أيام قلائل ربما يوم الجمعة بداية العشر الأوائل من ذي الحجة، هذه أفضل أيام الدنيا، الأيام العشر فالاجتهاد في العبادة والعمل الصالح والإعداد لها من الآن، من استطاع الاعتكاف أو الصدقة وقراءة القرآن بالذات في كل ما يمكن أن يدخل تحت كلمة العمل الصالح لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من أيام العشر من ذي الحجة» فأعدوا العدة لذلك وتأهبوا لها واحذروا أن تفوتكم هذه الأيام المباركة،** فإن الإنسان لا يدري هل تتكرر في حياته بعد ذلك أم لا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.